مراحل نمو الطفل

مرحلة التمثيل الرمزي: ما بين 12 إلى 15 سنة.

1/ فهم ميكانيزم الواقع واللغة: في هذه المرحلة يتمكن الطفل من نقل فهمه وتصوراته للأشياء وتفاعله معها تجريديا, ويفهم أن اللغة تتسم بإمكانية التعبير عن الماديات والمجردات, وبإمكانية التمثيل بأحدهما عن الآخر, وذلك بعد نمو الكفاءة اللغوية لديه، ومن خلال استمرار النمو العقلي وتزايده, يصبح الطفل قادرا على:

أ/ التعبير بالرمز اللغوي عن نفسه وعن الآخرين, واستعمال مختلف الأزمنة اللغوية وإتقانها, وهذا مؤشر على الوعي الذاتي الذي يرتبط كثيرا بخبرات الماضي ومعارف الحاضر, ليتطلع نحو فهم المستقبل والتفكير المنطقي وقواعده وتحليل الفرضيات والقيام بالاستدلال والاستنتاج، ويصبح تصور الأشياء قائما على التجريد.

ب/ إيجاد الحلول: كما تنمو لديه القدرة على حل المشكلات وإيجاد البدائل, وتخير الحل المناسب تجاه المواقف التي تعترضه, وتتكون لديه المفاهيم عن الأشياء أولا؛ فهو يسأل عنها قبل أن يصبح عارفا لها, وتشكل المفاهيم وهو الذي يمكنه في الأخير من إعادة تنظيم الأفكار وصياغتها ويمكنه من تمييز الحقيقة وتزوده بالخيال, ويسعى حينئذ إلى تصوير الأشياء كما تبدو عليه أو بقياسها إلى الأمثل منها.

ج/ تنوع مهارات التلقي: يرتبط نموه العقلي بالمهارات الأساسية المتعلقة بعملية القراءة والكتابة؛ فينمو عنده حب القصص والمغامرة والاهتمام بمختلف النشاطات المسلية؛ وخاصة تلك المتعلقة بالانترنت والإعلام الآلي وبماهو تفاعلي وافتراضي والأقراص الصلبة المخصصة لمختلف الألعاب التي تهم الطفل.

د/ تطور المفاهيم المختلفة: 1/ في هذه المرحلة تتطور لديه المفاهيم الدينية, حيث يرى بعض الباحثين أن معرفة الله قد ترتبط عند بعض الأطفال بالتفكير العلمي؛ إذ يعرف الطفل أن الله موجود في كل مكان وأن هناك جنة ونارا.

2/ أما اجتماعيا فإن سلوكه يتغير من خلال العلاقات الاجتماعية التي تتيح له معرفة ذاته، ولذلك يسعى لتحقيق مكانة اجتماعية بين رفاقه فيميل إلى الزعامة, وتزداد ثقته بنفسه, وتتسع دائرة ميوله واهتماماته, ويحاول فرض شخصيته الخاصة؛ بالإضافة إلى المؤثرات الوراثية والأسرية.

3/ وإلى جانب هذه السمات هناك العوامل البيئية والجغرافية المؤثرة على نمو الطفل, والتي هي بمثابة علامات دالة عليه؛ إذ تعد الأرض والمناخ رحما جديدة أخرى حيث نوعية التضاريس الأرضية, ونقاء الهواء وصفاؤه, والمناطق الباردة والحارة والرطبة, واختلاف وسائل العيش لها تأثيرها على الطفل.

وقد أثبتت الدراسات أن أطفال المدن الساحلية, والأرياف ينمون أسرع من أطفال المدن المزدحمة بالسكان والأماكن المعرضة للتلوث, وقد أشار "ابن خلدون"[1] في كتابه إلى أثر البيئة في تكوين الفرد والمجتمعات، وعلى ضوء ذلك قسم الأجناس البشرية حسب المناطق الجغرافية ومواقعها المدارية، ومميزاتها المناخية.

علامات نهاية الطفولة: هناك علامات دالة على نهاية مرحلة الطفولة؛ وهي تلك الإشارات المحددة لما يسمى طفولة، ومن ثمة محددة لما يسمى أدبا للأطفال.

1- ينظر, عبد الرحمن بن خلدون : تاريخ ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية, لبنان، د ط, 1992، مج 1. ص:94.

وتتمثل هذه المؤشرات في: 1/ اكتمال النمو الجسمي والعقلي والنضج الطبيعي, ونمو الخصائص الجنسية الأصلية والثانوية, وتتشكل بالإضافة إلى الحاجات العضوية أو الغريزية الأخرى؛ مثل الطعام والشراب, الغريزة الجنسية "التي تقوم بدورها بتعديل السلوك وتوجيهه, وتشكل خلفية بنية الحياة الذهنية"[2].

2/ تعد الهرمونات مؤشرا آخر على نهاية مرحلة الطفولة مثل "هرمون التستوستيرون Testostérone الذي لا يتم إفرازه خلال مرحلة الطفولة حتى سن عشر إلى اثني عشر سنة, ثم يزداد إفرازه بسرعة عند سن البلوغ"[3].

3/ الطول الهيكلي: أثبتت الدراسات العلمية "أن الطول الهيكلي عند الإناث بعد أن كان في تسارع بين 12-14 سنة يميل إلى التباطؤ بداية من 15 سنة, وعند الذكور بعد أن كان متباطئا بين 12-14 سنة يبدأ في التسارع بداية من 15 سنة"[4], وعليه فإن سن 15 سنة تكون هي نهاية مرحلة الطفولة, وما بعدها لا يعد من مراحلها؛ لا كما ورد في كثير من البحوث والدراسات حول أدب الأطفال, أن مرحلة الطفولة تستمر إلى سن 18 سنة[5], وعند البعض إلى 20 سنة، ولكن هذه المناحي والتوجهات لن نأخذ بها, وليست من الطفولة في شيء, وعليه تكون سن15 سنة هي نهاية مرحلة الطفولة, وعلى ذلك تم تحديد فنون الفئة المعنية بالدراسة، فماذا إذا عن الأدب المتصل بها, والفنون الموجهة إليها على الخصوص؟.

2- جان بياجيه: سيكولوجية الذكاء. ص: 168.

3- عبد الرحمن سيد سليمان: نمو الإنسان في الطفولة والمراهقة. ص:387.

4- ينظر, سامي محمد ملحم: علم نفس النمو دورة حياة الإنسان, ص: 356.

5- ينظر, محمود حسن إسماعيل:المرجع في أدب الأطفال, دار الفكر العربي, القاهرة, ط 1, 2004. ص: 68.